

صخر حبش بعد صداقة استمرت ثلاثين عاماً من دفاتر ذكرياتي مع الرئيس الصديق أبو عمار

٧ أختلف مع عرفات .. ولا أختلف عليه ووطنيته وإخلاصه موضع ثقتي المطلقة.

٧ لم أر دموع عرفات إلا في موقفين...؟؟ يوم استشهد ماجد أبو شرار ويوم رحيل حسن سلامة.

٧ استقبلنا رئيس وزراء اليابان فقدمني أبو عمار على أنني صخر بيسو

٧ آية من سورة التوبة .. قرأها أبو عمار أربعاً وعشرين مرة متتالية وهو في طائرة توشك على السقوط.

٧ خمس سنابل تمثل كف أبو عمار اليسرى... لا يتنازل عنها مهما كانت الأسباب.

حاوره: داود إبراهيم

صخر حبش، الشاعر والأديب .. يختزن في صدره مئات المواقف والأحداث التي عاشها مع صديق عمره.. ياسر عرفات.. ومن السهل أن نملاً أنهار هذه الصحيفة عن آخرها بفيض من هذه الذكريات والأحداث، خاصة وأن وجدان الشاعر أو ذاكرة الأديب تتوقف عند حوادث... أو مفارقات.. ربما لا تستلفت وجدان أو ذاكرة أي إنسان عادي.

والمؤكد أن صخر حبش يكنّ حياً صادقاً للرئيس عرفات.. ويتجلى ذلك في حرارة كلماته وصدق مشاعره ونبض الحقيقة الذي يطل من كل كلمة يقولها عنه... وهي بالمناسبة.. ليست كلمات إعجاب أو هالة من التقديس، وإنما هي مزيج من الإعجاب والتقدير والنقد والاعتراض والفكاهة وذكريات صخر حبش عن أبو عمار تجمع بين المفارقة والحقيقة .. بين الدمعة والبسمة، بين اللمحة الدالة والموقف الصلب لتتجمع كل هذه الخيوط وتكشف عن جوهر الشخصية العرفاتية.

الطريق إلى أمريكا مروراً باليابان

من ملف ذكرياته عن الرئيس .. والذي يملأ فضاء ثلاثين عاماً أو نحوها ينتخب صخر حبش السطور التالية:

كان ذلك في عام 1981 ... ذلك تاريخ لا ينسى لأنه شهد ثلاثة أحداث خطيرة.. رحيل السادات في حادثة المنصة المشهورة.. واستشهاد ماجد أبو شرار في روما... وسفر بعض أفراد القيادة إلى اليابان في مهمة تاريخه.

كانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية تخطط لفتح علاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عن طريق اليابان .. وكان أبو مازن يبذل جهداً كبيراً.. للوصول إلى هذا الهدف مستغلاً علاقاته مع بعض تلاميذه ومنهم مانع سعيد العتيبي وزير النفط في دولة الإمارات في ذلك الوقت.. وكان التخطيط لهذه المهمة يتطلب الذهاب إلى الصين ومن ثم إلى كوريا ومن كوريا إلى اليابان... ومن ثم فيتنام.

يوم رحيل الفارس الصديق

وبينما كان أفراد هذه البعثة ومنهم أبو عمار، وأبو مازن، وصخر حبش.. وقعت حادثة اغتيال ماجد أبو شرار.

يقول أبو نزار... وكما ماجد من أعز الناس عليّ.. وكانت تربطني به صداقة قوية... وكنت أمثل معه.. اتجاهاتاً وطنيةاً وثورياً.. يكاد يكون موازياً للتيارات الوطنية الصاعدة في شباب فتح.. كنا رفيقين في العمل والتوجه والأداء النضالي والفكري.. وعاشقين للأدب والقصة والشعر والفكر.. وأحدث رحيل ماجد المفاجيء زلزالاً في حياتي.. بل في حياة الثورة والوطن الفلسطيني بأسره.. وقد صحبت الرئيس عرفات أكثر من ثلاثين عاماً.. ولم أره في حياتي يبكي إلا في موقفين..

• يوم اغتيال القائد حسن سلامة

• ويوم نبأ اغتيال ماجد أبو شرار

وكان من رأي الأخوة أن نلغي السفر وأن نعود أدراجنا، ولكنني أوضحت لهم أن هذه مهمة وطنية يجب ألا نتوقف عنها، فإن الذين اغتالوا ماجد كانوا يهدفون إلى نسف مخططاته الوطنية.. وان من واجبنا أن نكمل المشوار.. دون توقف..

ولم يتوقع الأخوة مني هذا الموقف، خاصة وهم يعرفون عمق العلاقة التي تربطني بالشهيد ماجد .. وعلق أبو مازن على موقفني هذا بارتياح شديد، فقد كان لهذا الموقف دلالة.. حيث تتغلب الأهداف الوطنية على المشاعر والعلاقات الذاتية.. مهما كان عمقها.

غموض وتمنع ياباني

على اثر اغتيال السادات... الذي كانت تربطه بياسر عرفات علاقات صداقة متينة وحب متبادل وذكريات وشجون وأشجان.. جعلت أبو عمار في غاية الحزن والألم على النهاية التي لقيها الزعيم المصري.

ومع ذلك .. فإن تصريحات "أبو عمار" كانت تنسجم مع الجو السياسي العام والتوجهات الجماهيرية، وما يمثله هذا الحدث من أصداء.. فقد اعتبر الرأي العام العربي أن مصرع السادات ما هو إلا نتيجة طبيعية لموقفه في كامب ديفيد.. وكانت تصريحات "أبو عمار" تتجه نحو هذا المنحى.. وهذه التصريحات.. كانت تصل أصداءها إلى الحكومة اليابانية، التي حاولت أن تتنصل من استقبال وفد الثورة الفلسطينية. وادّعت في بادئ الأمر أنها لا تستطيع أن تضمن أمن الرئيس عرفات وحاولت ان تتنصل من استقباله .. ولم ييأس ابو مازن فاستعان بتلميذه مانع سعيد العتيبي وزير النفط في دولة الإمارات الذي هدد اليابان بأنه سيوقف ضخ النفط إن لم يستقبلوا عرفات ويعترفوا بالمنظمة ولم نتراجع، ذهبنا إلى اليابان.. وقابلنا وزير الخارجية الياباني الذي قال.. إن أقصى ما نستطيعه لكم ان نعلن أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الأساسي للشعب الفلسطيني، بمعنى، إنها ليست الممثل الوحيد أي أن هناك آخرين يمثلون الشعب الفلسطيني.

ولم نتقبل هذا الوضع بارتياح سكتنا، ولكن على مضض .. وما هو الا ان طلب منا وزير الخارجية الياباني أن نساعدهم في موضوع الجيش الأحمر، وهو فصيل ياباني كان يتعاون مع الجبهة الشعبية، وهنا التقط أبو عمار الكرة وقال نعم، ولم لا، على الحكومة اليابانية أن توجه إلينا رسالة باعتبارنا الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ونحن نحقق لكم ما تريدون.

ذكاء وسرعة بديهية

في اليوم التالي كان رئيس وزراء اليابان يستقبل وفدنا أمام البرلمان.. لقد تغير اسلوب تعاملهم معنا، وسقطت كل تحفظاتهم وها هو رئيس وزراءهم نفسه يستقبل "أبو عمار" على مدخل البرلمان..

وتقدم أبو عمار وأخذ يقدم أعضاء الوفد الفلسطيني معرفا واحدا واحدا .. وكان من ضمنهم .. عبد الرحيم أحمد، ومحمود عباس.. فلما جاء دوري.. قدمني على النحو التالي:

- الأخ صخر بسيسو
- وغشيتني نوبة من الدهول.. من أين جاء هذا الاسم وسألته فقال..
- ماذا تريدني أن أقول.. هل أنا مجنون لأقول صخر حبش؟

سر آية من سورة التوبة

ومن حكاية إلى حكاية.. فلا نزال نبحر في ذاكرة صخر حبش نفتش.. عن مواقف أو حكايات فيها عناصر الجدة والدهشة ولها دلالتها.. ولم يسبق نشرها.. وهو أمر قد يكون صعباً.. حيث شكل الرئيس عرفات ولا يزال مادة صحفية تمتد طويلاً وعرضاً وعمقاً، على امتداد عشرات السنوات.

يقول أبو نزار .. من المعروف عن الرئيس ياسر عرفات أنه إنسان قديري مؤمن وإن إحساسه الديني.. قوي.. فهو رجل مؤمن بكل ما في الكلمة من معان وظلال .. يقول أبو نزار ذات مرة.. كنت مسافراً بصحبة الرئيس ياسر عرفات وتأزمت ظروف السفر.. فأخرجت من جيبى آية من سورة التوبة.. كان المرحوم والذي قد قال لي.. إن من قرأ هذه الآية لن يموت في يومه. وتقول هذه الآية الكريمة: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم بالمؤمنين رؤوف رحيم" صدق الله العظيم. قرأت هذه الآية عدة مرات ثم حملة نصها مكتوباً في ورقة .. وأعطيتها لأبو عمار الذي تأملها في هدوء.. وأخذ يعيد تلاوتها مرة بعد أخرى. فلما قلت له لماذا تكرر قراءة الآية فقال.. لأني.. أريد أن أقرأها طوال أربعة وعشرين ساعة، حتى تكتب لي النجاة مجدداً لمدة أربع وعشرين ساعة بعد نهاية كل قراءة.

لا أقاطع أحداً

في معرض تحليله لبعض جوانب شخصية الرئيس عرفات يقول أبو نزار... من عبارات ياسر عرفات التي تشرح سلوكه أنه يؤمن بالعمل الجماعي، ويلتزم دائماً برأي الأغلبية وهو لا يقاطع أحداً.. لدرجة أنه يقول إنني لا أقطع علاقتي مع إبليس نفسه بمعنى أن الرئيس لا يقاطع أي فصيل ولا أي جهة ولا أي شخصية قد تفيده على المستوى النضالي أو الوطني.

ومن عاداته أنه يميل إلى الوفاء حتى لمن لا يستحق الوفاء..

السنابل الخمس

ثم ينتقل أبو نزار للوقوف عند منعطف تاريخي، هام وهو ما جرى في كامب ديفيد فيقول: دعنا نطوي كل ما قيل عن كامب ديفيد ولكن للحقيقة والتاريخ .. فأنا دائماً أقفز عن قرارات وسلوكيات وتصرفات الرئيس الإدارية أو الشخصية أو الحياتية المتصلة بعمله، وأرى أنه يدير هذه الأمور بيده اليمنى، ولا علاقة لي بهذه اليد، ولكنه بيده اليسرى يقبض بأصابع من فولاذ

على خمسة أمور.. تمثل أصابعه الخمسة دون أن يفترط في واحدٍ منها، وهذه الأمور هي:

- حق العودة.. وهو بمثابة الإبهام.
- القدس وهي بمثابة الشاهد
- الحدود وهي تمثل الخنصر
- المستوطنات وهي تمثل البنصر
- أما "الوسطى" فيمثلها حق إقامة الدولة الفلسطينية كاملة السيادة.

هذه الثوابت الخمسة.. تمسك بها الرئيس.. وحرص عليها إلى حد الاستبسال ولم يفترط فيها... رغم كل الإغراءات والضعفوطات رغم التهديد بالموت الذي تلقاه.. صريحاً قاسياً وقحاً.. ظل دائماً محافظاً على هذه الثوابت.

عرفات .. وطنية مطلقة

ويستدرك أبو نزار قائلاً إن ثقتي في وطنية أبو عمار ثقة مطلقة.. قد اختلف معه.. وقد أعارضه وقد أخاصمه.. وقد أخطئه.. ولكن "أبو عمار" المناضل الوطني المفكر والسياسي.. أوّمن بوطنيته، ونزاهته.. وإخلاصه في كل الأحوال واعلم علم اليقين.. أن يسراه تنبت خمس سنابل.. هي الثوابت الفلسطينية التي ستطرح قريباً الخير والنماء والحب والوطن الجميل.

مزيد من العمر في مشوار النصر

في عيد ميلاد الرئيس الخامس والسبعين.. أدعو له بطول العمر.. وأذكره بأننا واجهنا الموت المحقق معه مرات ومرات ، لعل من أخطرها ما واجهناه في حي الأشرافية، وفي أحراش عجلون، وعام 1982م في حرب بيروت، وسنة 83 في حصار طرابلس...

ولكن إرادة الله كانت تحرس هذا القائد الفذ.. ولا شك أن في العمر بقية.. والنصر قريب بإذن الله.

صور مقترحة

- صورة الرئيس عرفات .. ويكتب أسفلها - القائد .. مزيداً من العمر

في مشوار النصر

- صورة صخر حبش .. وطنية عرفات أروع ما في تاريخه

- صورة داود إبراهيم وصخر حبش - الزميل داود إبراهيم في حوار
مع صخر حبش

- صورة من الأرشيف